

البعثة المحمدية وظهور الاسلام

ان الله تعالى في كل مقدور من الامور اذا دنا نذيرا وبشيرا ،
يُظهر بهما مبادئ ما اخفاه ، ويُشعر بحلوها قَدْرُه وقضاه ، ليكونا
تعذيرا وتحذيرا ، تستيقظ بهما العقول ، ويزدجر بهما الجهول ، لطفًا
بعبادته من جفائة الامور المذهلة أن تُصدم ببوادر لا تستدرك ، لتكون
التفوس في مهلة تمكن من استدفاع خطبها ، وحل صعبيها .

ولهذا لما دنا مبعث رسول الله ﷺ الى الخلق بشيرا ونذيرا ،
وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، انتشر في الامم أن الله تعالى سيبعث
نبييا في هذا الزمان ، وأن ظهوره قد قُرب وأن ، فكانت كل أمة لها
كتاب ، تعرف ذلك من كتابها ، والتي لا كتاب لها ترى من الآيات
المنذرة ما تستدل عليه بعقولها ، وتنتبه اليه بهواجس فطريها ، وقد
بشر بنبوة رسول الله ﷺ الأنبياء السابقون ، ليكون ذلك حجته
على أممهم ، وعلامة صدقه عند غيرهم ، فيكون عونًا للرسول وحثًا على
القبول ، ومن ذلك دعوة ابراهيم الخليل (ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم ..) ، وبشارة موسى في التوراة ، وبشائر الذين جاءوا بعده من
بنى اسرائيل ، ثم بشارة عيسى في الانجيل ، وكلها متناصرة بصحة
نبوته ، متواترة الاخبار بتأييد شريعته ، ومنهم من عينه باسمه ،
ومنهم من ذكره بصفته ، ومنهم من عزاه إلى قومه ، ومنهم من أضافه
الى بلده ، ومنهم من خصه بأفعاله ، ومنهم من ميزه بظهور دينه
على الأديان ، وانتشاره ، وقد حقق الله تعالى بيعته جميع ما ذكره ،
حتى صار جايًا بعد الاحتمال يقينا بعد الارتباب

فإذا روينا أن اليهود والنصارى كانوا يبشرون برسول الله - قبل
مبعثه - ويقولون قد آن أوان ظهوره ، فما كان ذلك أمرا ابتدعوه ،
ولكنه أمر دينهم اتبعوه ، وصرح كتابهم الذي قرعوه والى الناس
بلاغه ، وعهد انبيائهم اليهم أعلنوه ، مع اختلاف معتقدهم وتباين
كتبهم التي عرفوا منها النبي بوصفه ووصف زمانه ، وتحدثوا بأمره
قبل ظهوره

وقد مر بك حديث كل من بحيرا ونسطورا ، حينما رأيا من أحواله
ما ينطبق على ما عندهما في الكتب .

ومثل هذا ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتاده قال : لم يكن في
بنى عبد الأشهل الا يهودى واحد يقال له يوشع ، فسمعه يقول . قد
أظلكم خروج بنى يبعث من نحو هذا البيت - ثم أشار بيده إلى بيت
الله - فمن أدركه فليصدقه ، فبعث رسول الله فأسأمتنا وهو بين أظهرنا
ولم يسلم ، حسدا وبغيا

وروى عن عثمان بن عفان قال . خرجنا في غير إلى الشام قبل أن
يبعث رسول الله ، فلما كنا بأفواه الشام وبه كاهنة فتعرضت لنا فقالت :
أتانى صاحبى (تريد تابعها) فوقف على بابى ، فقلت ألا تدخل ؟
فقال لا سبيل إلى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق ؛ قال عثمان :
فرجعت الى مكة ، فوجدت رسول الله قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل
وهذا النوع من الاخبار يسمى هواتف الجن وهو اجسها . وبهذه
المناسبة رأيت ان اذكر قصة سواد بن قارب ،

روى محمد بن كعب قال : بينا عمر بن الخطاب ذات يوم جالسا ،

أذمر به رجل ، فقتيل له ، اتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين ؟ قال ومن هو ؟
قالوا هذا سواد بن قارب ؛ رجل من أهل اليمن وكان له رأي من الجن ،
فأرسل اليه عمر ، فقال أنت سواد بن قارب ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ،
فقال أنت الذي أتاك رؤيتك بظهور النبي ﷺ ؟ قال نعم : بينا انا ذات
ليلة بين النائم واليقظان ، اذ أتاني رأيي من الجن ، فضر بني برجله وقال :
قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ، واعقل ان كنت تعقل ، انه قد بعث
رسول لله من لؤي بن غالب يدعوا الى الله تعالى وإلى عبادته وانشأ يقول

عجبت للجن وتظالبا وشدها العيس بأقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى مصادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدّامها كأذناها

فقلت له دعني فقد أمسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا ، فلما كانت
الليلة الثانية أتاني (و ذكر نحو مما مضى نثرا وشعرا) . فلما كانت الليلة
الثالثة أتاني (و ذكر أيضا نحو مما ذكر) قال فاصبحت وقد امتحن الله
تعالى قلبي للاسلام فرحلت ناقتي واتيت المدينة فاذا رسول الله ﷺ
واصحابه ، فقلت اسمع مقالتي يا رسول الله فقال هات فانشأت

اتاني نجي بعد هدء وورقة ولم أك فيما قد نجوت بكاذب
إلى أن يقول يخاطب رسول الله فيها

فرنا بما يأتيك ياخير من مشى وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب
ففرح رسول الله وأصحابه بمقالتي فرحاشديدا حتى رؤى الفرح
في وجوههم ، قال : فوثب اليه عمر فالتزمه وقال : قد كنت أحب أن

أسمع منك هذا الحديث ، فهل يأتيك رأيك اليوم؟ فقال أمّامذ قرأت
القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله من الجن
والأخبار من هذا القبيل مستفيضة وبخاصة في سبب مسارعة
الأنصار إلى الاسلام ومبايعة النبي في العقبة
وقد أجد من المناسب ذكر هذه القصة :

حدث عاصم بن عمرو عن رجال من قومه قالوا : ان مما دعانا إلى
الاسلام — مع رحمة الله تعالى وهداه لنا — أن كنا نسمع من رجل
من يهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ،
عندهم علم ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم
بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : انه تقارب زمان نبي يبعث الآن ، نقتلكم
معه قتل عاد وارم ، فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم ، فلما بعث رسول
الله ﷺ ، اجبنا حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ،
فبادرنا اليه فأمتنا به ، وكفروا ، ففينا وفيهم نزلت (ولما جاءهم كتب
من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون) (يستنصرون)
على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين)
ويروى أن اليهود كانوا يقولون إذ ذلك : اللهم ابعث هذا النبي
يحكم بيننا وبين الناس .

وكانت هذه الأخبار قبل البعثة النبوية بمثابة تمهيد لها حتى لا
تحصل فجأة ، وحتى يكون الناس على انتظار وشوق لحصولها ، ولقد
سمى بعضهم ابنه محمدا رجاء أن يكون النبي المنعوت ، الذي ينتظر الناس
بعثته ، بل لقد طمع أمية بن أبي الصلت الثقفى (أمه رقية بنت عبد

شمس بن عبد مناف) أن يكون ذلك النبي ، وقد قرأ كتاب الله الأول ، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب ، ولبس المسوح تعبيدا ، وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الحمر ، وشك في الأوثان ، والتمس الدين وطمع في النبوة ، لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكونه ، فلما بعث النبي ﷺ قيل له : هذا الذي كنت تستريث (تستبطن) وتقول فيه ، فحسده عدو الله وقال : انما كنت أرجو أن أكونه ، فأنزل الله فيه (واتل عليهم نبأ الذي آتينه آياتنا فانسلخ منها ، وهو الذي يقول

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

وهناك أمر عظيم ظهر في العرب قبيل مبعثه ﷺ وهو بمثابة استعداد لتلقى دعوته بالقبول . ذلك هو تنبه الأفكار إلى ما هم فيه من الفوضى الدينية ، وسخطهم على العقائد الفاسدة والأخلاق السافلة ، وتنافسهم في الخلال الحميدة ، وترفع كثير من ساداتهم عن الانحطاط إلى درجات السوقة ومن على شاكتهم ، والافا بالهم يعقدون حلف الفضول مثلا ، ألم يك لقطع دابر الظلم والبغى ، ورعاية مصالح الأجانب وهو ما يدعو اليه الدين ويحث عليه ، ثم ما بالهم يفتقدون الموودات ، ويمدون يد المعونة للذين يقتلون أولادهم من أملاق : أليس هذا وذاك نزوا منهم إلى استئصال هذه العادات الوحشية ، التي لا يقول بها عقل ولا يرتضيها دين ، وأن انحطت منزلتهما إلى أسفل الدرجات ؟

ثم ما بال كثير منهم يحرم الحمر على نفسه . أليس ذلك ترفعا منهم

عن الانحطاط إلى مستوى البله والجنانين ؟

وهذا إلى كثير من النزعات التي تدخل في عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وذلك من نوع ما جاءهم به رسول الله ﷺ ، لا يختلف عنه ، فلا ينفرون منه إذا جاءهم به ، بل يسارعون إلى قبوله ، ويقومون معه فيما يدعو إليه

والقصة الآتية من قصص تنبيه الأفكار قبل البعثة النبوية:

كان نفر من قريش عند صنم لهم يجتمعون إليه قد اتخذوا له يوماً من كل سنة عيداً ، وكانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ، ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه ؛ فدخلوا عليه في ليله ميلاد رسول الله فرأوه مكبوا على وجهه ، فأنكروا ذلك . فأخذوه فردوه إلى حاله ، ثم خلاص أربعة منهم نجياً وهم :

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل من بني عدى بن كعب بن لؤي ، وعبيد الله بن جحش من بني أسد بن خزيمية ، وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى — فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض ، فقال لهم ورقة ابن نوفل : تعلموا والله ما قومكم على دين ، ولقد أخطئوا المحجة ، وتركوا دين إبراهيم ؛ ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين ؛ فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ، ويسألون عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

فأما ورقة بن نوفل فتنصر ، وقرأ الكتب حتى علم علماً وأعجب بالنصرانية ، وكانه لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ، فلذا أخبر بشأن النبي وبشر به ، وتمكن من دين النصارى وكتبهم بحيث صار

يتصرف في الإنجيل فيسكتبه ان شاء بالعربية ، وان شاء بالعبرية ، وهو أحد من آمن بالنبي قبل البعث .

وأما عثمان بن الحويرث ، فصار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده ، ويقال انه قال لقيصر : اني أجعل لك خرجا على قریش ان جاءوا الشام لتجارتهم ، والا منعتهم ، فهم قيصر أن يفعل ، ويروى انه توجه وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا أن يدينوا لملك وصاح قائلهم : ألا إن مكة كقح ، لاتدين لملك ، فلم يتم له مراده ، فعاد إلى الشام ، فيقال ان قریشا دست إلى عمرو بن جفنه الغسانی فسمه فمات هناك .

وأما زيد بن عمرو ، فخرج فضرب في الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة ، فلقى بها راهبا عالما ، فأخبره بالذي يطلب ، فقال له الراهب : انك لتطلب ديننا لاتجد من يملك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك ، يُبعث بدين الحنيفية ، وهذا من بشارة أهل الكتاب الأول أيضا ، ثم أقبل زيد إلى الشام ، فشام اليهودية والنصرانية ولم يرض شيئا منهما ، وخرج يريد مكة ، فلما توسط أرض نظم عدوا عليه فقتلوه ، وكان عمه الخطاب قد آذاه أذى كثيرا ، فنعمه أولا أن يخرج لالتماس الحنيفية ، فاعتزل الأوثان ، وفارق الأديان كلها ، ووجد الله تعالى ، وخلع من دونه ، وحرم الميتة والدم والذبائح التي تذبح للأوثان ، حدث عبد الله بن عمر أن النبي لقي زيدا قبل أن يبعث ، فقدمت إلى النبي سفرة فأبى زيد أن يأكل منها ، وقال : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه ،

وان زيد بن عمرو يعيب على قريش ذبايحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله ،
وانزل لها من السماء ماء ، وانبت لها من الأرض ، ثم يذبحونها على
غير اسم الله - انكارا لذلك واعظاما له

خرج زيد فارا من اذى عمه إلى أعلى مكة ، فوكل عمه به شبابا
من قريش وسفهاء من سفهائهم ، وقال لهم : لا تتركوه يدخل ، فكان
لا يدخل مكة إلا سرا ، فاذا علموا به أخرجوه وأذوه ، كراهية أن
يفسد عليهم دينهم ، أو يتابعه أحد إلى ما هو عليه .

مات زيد رحمه الله وقريش تبني الكعبة ، وابنه سعيد بن زيد
أحد العشرة ، وقد روى عن رسول الله ﷺ في حق زيد أنه قال :
يبعث يوم القيامة أمة وحده .

وأما عبيد الله بن جحش ، وهو أخو أم المؤمنين زينب بنت
جحش ، فأقام بمكة ، حتى بعث النبي ﷺ ، ثم أسلم ، ثم خرج مع من
خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر ، وفارق الاسلام ، حتى
هلك هنالك نصرانيا ، وكانت معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ،
فثبتت على اسلامها حتى تزوجها رسول الله ﷺ

اليست نزعة هؤلاء واجماعهم على التماس الخليفة وشعورهم بوجوب
الاصلاح الديني ، من نوع تنبيه الافكار وتيقظ المشاعر والحواس ،
توطئة وتمهيدا بين يدي مبعث رسول الله الذي جاء بالهدى ودين الحق
ليخرج الناس بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ؟

أما أن الأنبياء السابقين بشروا به ، وأنه ورد في كتبهم ، وأنهم
عاهدوا أممهم على اتباعه فقد جاء به الكتاب العزيز والسنة النبوية ،

فمن ذلك قول الله تعالى : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتب وحكمة : ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أقررتم وأخذتم على ذلك إصري ؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا ، وأنا معكم من الشاهدين ، وقوله : الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل . وقوله : وإذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل إني رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (على الراسم العثماني) .

وأما من السنة فقد روى البخاري : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حي ، ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق : لئن بعث محمد وهم أحياء ، ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه :

وبذلك تحدثت أمم هؤلاء النبيين من بعدهم ، وعنهم غالبا تحدث الحزاة (الكهان) الذين زعموا أن رآئهم من الجن يخبرهم أو نحو ذلك أما رسول الله ﷺ ، فإنه مع ذبوع هذه الأمور وتواتر الاخبار بها ، قد كان غافلا عنها ، لا يعلم أنه المرادُ بها ، والمؤهل اليها ، ولم يشعر بها حتى نودي ، ولا تحققها حتى نوحى ، ليكون أبعد من التهمة ، وأسلم من الظنة ، فيكون برهانه أظهر ، وحجابه أقهر ، وكان - مع تمييزه عن قومه بشرف أخلاقه ، وكرم طباعه - لم يعبد معهم صنما ولا عظم وثنا ، وكان متدينا بفرائض العقول السليمة ، من توحيد الله وقدمه وحدوث العالم وفنائه وشكرا المنعم ، وتحريم الظلم ووجوب الانصاف ، وأداء الأمانة ، فسلم قبل مبعثه من حرج في دينه ، وقدح في يقينه ،

وهذا من أمارات الاصطفاء ، ومقدمات الاجتباء .
ولما جدد الامر في النبوة ودنا وقتها ، حبيب الله الى رسوله الخلاء
بغار بحراء ، بعد أربعين سنة من عمره ، حين تكامل شهره ، وأشدت
قواه ، ليكون متهيئا لما قدر له ، ومتأهبا لما أريد به ، فكان يختلي في
غار بحراء في ذوات العدد من الليالي ، قيل شهرا في السنة على عادة كانت
لقريش في التبرز ، بالمجاورة بحراء ، ثم يعود الى أهله ، الى أن استدام
الخلاء به ، فكان يؤتى بطعامه وشرابه ، فيأكل منه ، ويطعم المساكين ،
برهة من زمانه ، وهو غافل عن النبوة ، وان كان أمرها في الناس
موهوما ، وعند أهل الكتب معلوما ، فلم يزل على خلوته الى أن أظهر
الله له أمارات نبوته ، فايقظه بها بعد الغفلة ، وبشره بعد المهلة ، ثم
بعثه رسولا بعد البشرى ، على تدرج ترتبت فيها أحواله ، ليمتوطأ
لتحمل انقائها ، ويعلم لوازم حقوقها ، بحيث أن النبوة لا تفجؤه بغتة
فيذهل ولا تخفى عليه حقوقها فينكل (يجبن) ، وكان ذلك من الله لظفا به
وانعاما عليه .

وكان هذا التدرج على أحوال ، نقل فيهن من منزلة الى منزلة حتى
بلغ غايتها

الاولى : الرؤيا الصادقة في منامه بما سيؤول اليه أمره ، فكان لا يرى
رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، وكان ذلك اذكارا بالنبوة ، ليروض الله
لها نفسه ويختبر حواسه ، فيقوم بها اذا بعث وهو عليها قوى ، وبها ملى
الثانية : نزول جبريل عليه بوحى من ربه أنه نبي الله ورسوله ،
ليعامها عيانا ، ويعتقدها يقينا ، حتى لا يعتوره وهم ولا يخالجه ريب

روى الزهري عن عائشة أن رسول الله ﷺ لما نجاه الحق ، أتاه جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله ، فقال رسول الله : جئت لركبتى وأنا قائم ، ثم رجعت ترتجف بوادري ، ثم دخلت علي خديجة فقلت زملوني زملوني ، حتى ذهب عني ، ثم أتاني فقال يا محمد أنا جبريل ، وأنت رسول الله ، ثم قال . اقرأ قلت ما اقرأ ؟ فأخذني فغطني ، (وروى : غطني : ضمنى وعصرني ، وبالثناء حبس نفسي) ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد ، وقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) ، فجئت خديجة ، فقلت لقد خشيت علي نفسي (وكان أشق شيء عليه أن يقال عليه مجنون ، أو خشى أن يقتله قومه) ، واخبرتها خبري ، فقالت أبشر فوالله لا يحزنك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل وكان ابن عمها ، وخرج في طلب الدين ، وقيل قرأ التوراة والإنجيل وتنصر . وقالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألني ، فأخبرته خبري ، فقال : هذا الناموس الذي نزل علي موسى ، يعني جبريل عليه السلام . ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك ، قلت : أو مخرجي هم ؟ قال نعم ، انه لم يجيء رجل قط بما جئت به الا عودي ، ولئن يدركني يومك ، لانصرنك نصرا مؤزرا

هذا والحكمة في الغت ثلاثا شغل النبي عن الالتفات لشيء آخر ، واطهار الشدة والجد في الأمر ، وان يأخذ الكتاب بقوة ، تنبيهها على نقل القول الذي سيق اليه .

وانما قال ورقة : الناموس الذي نزل على موسى ولم يقل عيسى ،
مع أنه كان نصرانياً ، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل
الكتابين ، بخلاف عيسى ، فكثير من اليهود ينكر نبوته
وقيل أن خديجة ذهبت إلى ورقة أولاً ، فاما قصت عليه القصة قال :
ان كنت صدقتني انه ليا تيه نامرس عيسى الذي لا يُعلمه بنو اسرائيل
أبناءهم ، بحسب ما هو فيه من النصرانية ، ولما ذهبت برسول الله اليه
فأخبره قال له ناموس موسى

ثم لم ينشب أن توفي ورقة ، وفترا الوحي فترة ، حتى حزن رسول
الله ﷺ حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من شواهق الجبال ، فكأما أوفى
بذروة جبل لكي يلقى نفسه (خشية أن تكون عقوبة من الله أو حزناً
على مفاته من بشاراة ورقة ، ولم يرد بعدُ شرعاً بالنهي عنه فيُعرض به)
تبدى له جبريل فقال له يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه
وتقر نفسه فيرجع ، فاذا طالت عليه الفترة غداً لمثل ذلك ، فاذا أوفى
بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

وكان الغرض من هذه الفترة ان يتشوق الى العود بعد أن يذهب
عنه ما كان يجده من الروح ، وكانت مدتها ثلاث سنين - ثم عاد اليه
جبريل بالقرآن العظيم ، فكان أول ما نزل من القرآن بعد اقرأ : (ن والقلم
وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإنت لك لأجرا غير
ممنون ، وأنتك لعلى خلق عظيم ، فستبصر ويبصرون) نزل عليه
ذلك ليزداد ثباتاً ولنفسه استبصاراً .

والثالثة أنه أمر بعد النبوة بالانذار فصار به رسولا ، ونزل عليه

القرآن بالامر والنهي فصار به مبعوثا ، ولم يؤمر بالجهر وعموم الانذار ليختص بمن أمنه ، ويشهد بمن أجابه ، فنزل عليه (يا أيها المدثر قم فأندر) فتمت بذلك نبوته بالوحي والانذار .

والرابعة أنه أمر بعموم الانذار ، والجهر بالدعاء الى الاسلام بعد الاسرار ، فانزل الله عليه (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه كما سيجيء .

ثم أمره أن يبدأ بعشيرته الأقربين فقال تعالى (وأنذر عشيرتک الأقربين واخفض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون) فصعد رسول الله ﷺ الصفا ، فهتف : يا صاحباہ ، يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، حتى ذكر الأقرب فالأقرب من قبائل قريش ، فاجتمعوا اليه وقالوا مالك ؟ قال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، أما كنتم تصدقون ؟ قالوا بلى ، ما جربنا عليك كذبا ، قال : فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب تبالك ، ألهذا جمعتنا ؟ فانزل الله تعالى (تبت يدا ابي لهب وتب) إلى آخر السورة .

ودروى أنه لما نزلت هذه الآيات قام رسول الله فقال : يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئا ، سلوني من مالى ما شئتم

ثم استمر ﷺ يدعو الى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يرده راد ، يتبع الناس فى انديتهم ومخافتهم ومحافلهم وفى المواسم ومواقف الحج ، يدعو من لقيه من حر

وعبد وضعيف وقوى وغنى وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء.
وقبل أن نذكر ما كان من مواقف قومه منه حينما دعاهم نقول :
ان المصطفى ﷺ كان أول من آمن وصدق بما جاءه من عند الله ،
قبيله بقبوله ، وتحمّل منه ما حمل ، ولانبيوة أحمال ومؤن لا يستضلع بها
الآ أولو العزم من الرسل ، لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاءوا
به عن الله

وأول من آمن به من النساء خديجة ، صدقته ووازرته ، فخفف
الله بها عنه ، لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه أو تكذيب فيحزنه
ذلك ، الا فرج الله بها عنه ، اذا رجع اليها تثبتته وتخفف عنه وتصدقته
وتهون عليه أمر الناس — وكان جبريل قد علمه الوضوء والصلاة ،
فحاكت النبي في ذلك كله سرا

ثم جاء علي بن أبي طالب فراآهما يصليان فقال ما هذا يا محمد؟ فقال
دين الله الذي بعث به رسله ، فأدعوك الى الله وحده لا شريك له ،
وإلى عبادته ، فأسلم علي وهو ابن تسع أو نحوها ، وكان في حجر رسول
الله ، ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ .

اسلام أبي بكر — وأول من أسام من الرجال الأحرار :
أبو بكر الصديق ، واسلامه كان أنفع من اسلام من تقدموه ، إذ كان
صدرا معظما ، ورئيسا في قريش مكرما ، وصاحب مال وجاء ؛ لقي
رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا....؟
فقال له النبي : بلى انى رسول الله ونبيه ، بعثني لا بلغ رسالته وادعوك
إلى الله الحق ، ادعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد

غيره ، فأسلم وكفر بالاصنام ورجع وهو مؤمن مصدق .
ولما أسلم أظهر إسلامه ودعا الى الله عز وجل ، وكان رجلا مؤلفا
لقومه محببا فيهم سهلا ، وكان أنسب قریش لقریش ، وأعلم قریش بما
كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا اذا خلق ومعروف : وكان
رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر ، لعلمه وتجارته وحسن
مجالسته ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه
ويجلس إليه ، فأسلم على يديه : الزبير بن العوام الاسدي ، وعثمان بن
عفان الاموي ، وطلحة بن عبيد الله التيمي ، وسعد بن أبي وقاص ،
وعبد الرحمن بن عوف الزهري ، وأبو عبيدة بن الجراح الفهري ،
والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وعثمان بن مظعون الجمحي ، وأبو سامة
ابن عبد الاسد المخزومي ، فانطلقوا الى رسول الله ثمانيتهم ومعهم
أبو بكر فعرض عليهم الاسلام وقرأ القرآن وأنبأهم بحق الاسلام فأسلموا
وصالوا ، فكانوا الذين سبقوا في الاسلام .

والملاحظ في هؤلاء السابقين أنهم كانوا من بيوت قریش العظيمة
وأنتهم كانوا من أعيان هذه البيوت وقادتها وساداتها ، أريد من وراء
ذلك أن أنبه (١) الى أن كل بيت من بيوت الشرف في قریش كان فيه
واحد يمثل الاسلام ويدعو إليه ويذب عنه ، (٢) ثم الى أن النواة
الأولى لعصبة الاسلام كانت قوية ، إذ كان فيها قدى الناس واشرافهم ،
فلا عجب إذا تابعهم الناس فدخلوا معهم فيما دخلوا فيه ، سواء أكانوا من
صميم بيوتهم ، أم من حلفائهم أم مواليهم ، نعم ، لقد دخلوا في الاسلام
أرسالا (جماعات متتابعين) ، رجالا ونساء ، حتى فشا الاسلام في مكة

وَتُكَلِّمَتْ بِهِ ، وَأَسْمَاءُ بَيُوتَ بِرِمَّتِهَا كَيْبِيتَ بِنِي جَحْشٍ ، وَصَارَ عَدَدُ
الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ . فِيهِمْ الرَّجُلُ وَامْرَأَتُهُ كَجُمْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
وَامْرَأَتُهُ اسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسِ الْخَثْعَمِيَّةِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَامْرَأَتُهُ
فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ أُخْتُ عُمَرَ ، وَالرَّجُلُ وَاخْوَتُهُ وَابْنُهُ كَعْتَمَانَ وَقِدَامَةَ
وَعَبْدَ اللَّهِ بَنِي مِظْعَمُونَ بَنِي حَبِيبِ الْجَحْشِيِّ ، وَالسَّائِبُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعَمُونَ ،
وَكَانُوا جَمِيعًا يَسْرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ ، وَيَصَلُونَ وَهُمْ مُسْتَخْفُونَ ثَلَاثَ سِنِينَ
مِبَادَاةَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْمَهُ

ثُمَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ ، وَأَنْ يَبَادِيَ
النَّاسَ بِأَمْرِهِ : وَأَنْ يَدْعُو إِلَيْهِ ، فَقَالَ : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ) .

فَصَدَعَ بِالْأَمْرِ ، وَوَجَّهَهُمْ بِهِ جَهَارًا ، لَا يَخْتَصُّ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ ،
فَلَمْ يَكْ مِنْ قَرِيشَ بَادِيَ الرَّأْيِ مِبَاعِدَةَ لَهُ ، وَإِنْ رَدُّوا عَلَيْهِ بَعْضَ الرَّدِّ ،
بَلْ كَانُوا غَيْرَ مُنْكَرِينَ لِمَا يَقُولُ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مَرَّ عَلَيْهِمْ : هَذَا ابْنُ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَكَلِّمُ مِنَ السَّمَاءِ ؛ حَتَّى ذَكَرَ آهْلَتَهُمْ ، وَعَابَهَا ، وَسَفَهَ أَحْلَامَهُمْ
فِي عِبَادَتِهَا ، وَعِنْدَ ذَلِكَ أَجْمَعُوا عَلَى خِلَافِهِ ، وَتَظَاهَرُوا بِعِدَاوَتِهِ ، إِلَّا مَنْ
عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَهُمْ قَلِيلٌ مُسْتَخْفُونَ ، وَكَانُوا إِذَا صَلُّوا
ذَهَبُوا فِي الشَّعَابِ ، وَاسْتَخْفَوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَبَيْنَمَا سَعْدُ بْنُ
أَبِي وَقَاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ ، إِذْ ظَهَرَ
عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يَصَلُونَ ، فَنَازَكُواهُمْ ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ
مَا يَصْنَعُونَ ، حَتَّى قَاتَلُوهُمْ ، فَضْرَبَ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ جِلْمًا مِنْهُمْ بِلَسْخَى بَعِيرٍ (رَكْبَةً)
فَشَجَّهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ أُرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ .

وهكذا شرعت قريش تتعدى رسول الله وأصحابه: فاما رسول الله فقد حذب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، وكذلك صنع بنو هاشم ما عدا أبي لهب ، وصنع بنو المطلب ؛ فمضى على أمر الله مظاهرا له لا يردده عنه شيء ، ولكن أصحاب الرسول تعرضوا للأذى ، ومن أمثلة ذلك : أن نوفل بن خويلد أخذ أبا بكر وطلحة ، حينما أسلما : فشد هباني حبل واحد ، وكان نوفل يسمى أسد قريش فلم يمنعها منه بنو تيم ، فما بال بقية المسلمين ! على أن رسول الله نفسه قد اعتدى عليه مرارا .

وكان من أشد أعداء الرسول عمه أبو لهب ، وامراته أم جميل حمالة الخطب أخت أبي سفيان ، وخالفه في ذلك أخوه أبو طالب ، مع أنه على دين قومه ، وهذا من حكم الله تعالى ، إذ لو أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ، ولا كانوا يهابونه ، ولا جترءوا عليه ، ولمدوا أيديهم والسنتهم بالسوء اليه .

روى أن رسول الله قام بسوق ذي المجاز وهو يقول : يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : أيها الناس ، لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم ، فاذا هو عمه أبو لهب .

وقد حذا حذو أبي لهب في تكذيبه رسول الله ، جماعة من قريش كانوا لا يشكون في صدقه قبل الاسلام ، فلما جاءهم به كذبوه ، فهم من كذبه حسدا ، ومنهم من كذبه عنادا ، ومنهم من كذبه استبعادا أن يكون نبيا أو رسولا ، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة ، لجعلوها دليلا على تكذيبه في الرسالة ، ومن لزم الصدق في صغره ،

كان له في الكبر ألزم ، ومن عصم منه في حق نفسه ، كان في حقوق
الله أعصم

ولكن رسول الله ﷺ جاهد في الله حق جهاده ، حتى خصم قريشا
حين جادلوه ، وصابروهم حين عاندوه ، وجمعهم كثير وجمعهم غفير ، إلى أن
علت كلمته ، وظهرت دعوته ؛ وكابد من الشدائد ما لم يثبت عليها إلا معصوم
وبهذه المناسبة نقول أنه كان بين قريش وبين رسول الله من
الاحداث ما سردده على الوجه الآتي :

المرحلة الاولى

الشكوى إلى أبي طالب

لما رأَت قريش أن رسول الله لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه ،
من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن أبا طالب قد حذب عليه ولم
يسامه لهم ، اتبعوا الطرق الآتية :

(١) مشى رجال من أشرفهم وهم عتية وشيبة ابنا ربيعة بن
عبد شمس ، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وأبو البخترى العاصي
ابن هشام بن الحرت ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وأبو جهل وهو
عمرو بن هشام بن المغيرة ، ونُدَيْيَه ومُنَبِّه ابنا الحجاج بن عامر ، والعاص
ابن وائل بن هشام ، فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا
وعاب ديننا وسفه أعلامنا وصدل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا ، واما أن
تخلى بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيك -
فقال لهم أبو طالب قولوا رقيقا ، وردهم ردأجيلا ، فانصرفوا ، ومضى رسول

الله على أمره يظهر دين الله ويدعو اليه .

(٢) ثم شمرى الامر بينهم وبينه (انتشر الشر) ؛ حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، واكثرت قريش ذكر الرسول بينهما ، فنذا مروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه ، ومشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وقد استنهييناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وأنا والله لانصبر على هذا ، حتى تكفه عنا ، أو ننزله وإيك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، وانصرفوا .

فمظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ، ولم يطب نفساً باسلام رسول الله لهم ولا خذلانه ، فبعث اليه فقال له يابن اخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحماني من الامر مالا أطيق ، فظن الرسول أنه قد بدا لعمه فيه بدو ، وأنه خاذله ومُسامه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته . ثم استعبر فبكى وقام ، فناداه أبو طالب فقال : أقبلي يابن اخي ، فأقبل عليه ، فقال : اذهب فقل ما أحببت ، فوالله لا اسامك لشيء أبدا .

(٣) ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبقى خذلان رسول الله واسلامه . مشوا اليه بعجارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، شقيق خالد بن الوليد ، فقالوا ياأبا طالب هذا عمارة بن الوليد . أنهدفتي في قريش (أقوى وأجمل) وأجمله ، نخذه ، فلك عقله ونصره ، واتخذناه ولداً ، فهو لك ، وأسلم الينا ابن أخيك فنقتله ، فإنا هو رجل برجل . قال والله لبئس ما اتسوموني ،

أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيتكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله مالا
يكون أبداً ، أرايتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمة ؟ (تعطف عليه)
فقال له المطعم بن عدي : والله لقد انصفك قومك ، واجهدوا على التخلص
مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال والله ما أنصفوني ،
ولكنك أجمعت خذلانني ، ومظاهرة القوم عليّ ، فاصنع ما بدالك ،
فحقب الامر (أشدد) وجميت الحرب ، وتنازدا القوم وبأدى بعضهم بعضا
ثم تذا مروا على من في القبائل منهم من أصحاب الرسول الذين أساموا
معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسامين يعذبونهم ويفتنونهم
عن دينهم ، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب الذي قام (عندما رأى
قريشا تصنع ما تصنع) في بنو هاشم وبني المطالب فدعاهم إلى ما هو عليه
من منع رسول الله والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى
ما دعاهم إليه ، من الدفع عن رسول الله ، إلا ما كان من أبي لهب فلما رأى
أبو طالب من قومه ما سره ، من جدتهم معه وحبهم عليه ، جعل يمدحهم
ويذكر قديمهم وفضل الرسول فيهم ، ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم
(٤) ثم أن الوليد بن المغيرة المخزومي اجتمع إليه نفر من قريش ،
(وكان سيد عشيرته وافصح قومه ، وكان ذا سن فيهم) وقد حضر الموسم
فقال يا معشر قريش ، ان وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر
صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضهم
بعضا ، قالوا : فأقم لنا رأيا نقل به ، قال : بل أنتم فقولوا أسمع ، قالوا :
نقول : كاهن أو مجنون أو شاعر أو ساحر ، فلم يرض واحدة منها وقال :
والله إن لقوله الحلاوة : فتفرقوا عنه ، وجعلوا يجلسون بسبيل الناس

حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره ، فكان ذلك بمثابة اعلان أو دعاية عن رسول الله الى العرب عامة ، اذ صدر الناس من الموسم الى بلادهم ولديهم خبر رسول الله يذكرونه الى قومهم . فلما انتشر أمر رسول الله في العرب وبلغ البلدان ، ذكر بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر الرسول . حين ذكر وقيل أن يذكر من هذا الحى من الاوس والخزرج ، لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم .

المرحلة الثانية

ايذاء الرسول باليد واللسان

(١) ثم إن قريشا اشتد أمرهم ، للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله ومن أسلم معه ، فأغروا برسول الله سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر ، والكهانة والجنون ، ورسول الله مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مباد لهم (مجاهر) بما يكرهون ، من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم ، فاجتمع أشرفهم يوماً فى الحجر يذكرون رسول الله فقالوا مارأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ... لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، فبيناهم كذلك ، إذ طلع رسول الله فأقبل يمشى ، ثم مر بهم طائفاً بالببيت فغمزوه ببعض القول ، ثم مر بهم الثانية فغمزوه ، ثم الثالثة فغمزوه ، فوقف فقال : أتسمعون يا معشر قريش؟ أما الذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته ، حتى مامنهم رجل الا كأنما على راسه طائر واقع ، وحتى أن أشدهم

فيه ليقول : انصرف أبا القاسم ، ما كنت جهولا ، وانصرف الرسول حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحاجر أيضا حتى طلع عليهم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وخنقوه خنقا شديدا ، وأحاطوا به يقولون له : أنت الذي عبت آلهتنا وديننا؟ فقال لهم نعم أنا . ثم أخذوا حدهم بمجمع رداءه فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله فجيذوه من شعره حتى سقط أكثره ، وكان رجلا كثير الشعر

(٢) سبب اسلام حمزة سنة ست من النبوة

مر أبو جهل برسول الله عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره ، من العيب لدينه والتضعيف لامرء ، فلم يكلمه رسول الله ، ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجاس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب أن أقبل ، متوشحا قوسه راجعا من قنص ، وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة ، فلما مر بالمولاة - وقد رجع الرسول إلى بيته - ، قالت له يا أبا نهمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آتفا من أبي الحكم ابن هشام ، وجده ههنا جالسا فأذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ، فاحتمل حمزة الغضب ، فخرج يسعى لم يقف على أحد معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ، ونظر اليه جالسا في القوم فأقبل نحوه ، ورفع قوسه فضربه بها فشجه شجة منكورة ، ثم قال : أتستمه ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فرد ذلك على إن استطعت ، فقام رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، وقالوا له ما نراك يا حمزة الا قد صبوت ، قال ومن يمنعني وقد استبان لي

منه أنه رسول الله ، وأن الذي يقول حق ، فقال أبو جهل : دعوا
أبا عمارة فاني والله قد سميت ابن أخيه سباً قبيحاً - وهمة عم الرسول
أخوه من الرضاع ، وكذلك أبو سامة بن عبد الأسد المخزومي ، ارضعتهم
جميعاً ثوية مولاة أبي لهب

وتم حمزة على اسلامه ، فعرفت قريش أن الرسول قد عز وامتنع ،
وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ، ورجع حمزة
إلى بيته فوسوس إليه الشيطان بقبح ما فعله ، من ترك دين آبائه ، فلما
أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فذكره ووعظه وخوفه وبشره ،
فألقى الله في قلبه الايمان ، ونطق بالشهادتين ، وقال : أظهر يا بن أخي
دينك ، فوالله ما أحب أن لي ما أظلمته السماء ، واني على ديني الاول . فانظر
كيف كان ايداء الرسول سبياً في عطف صناده قومه عليه ، ومسارعتهم
إلى نصرته ؟

المرحلة الثالثة

التحدى وأسئلة التعجيز ، والتكذيب والعناد

(١) وقام عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً في قومه فقال - ورسول الله
جالس في المسجد وحده - : يامعشر قريش الا أقوم إلى محمد فأكلمه ،
وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ،
وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب الرسول يزيدون ويكثرون ،
فقالوا بلى قم اليه ، فقام حتى جلس إلى رسول الله فقال يا بن أخي ، انك
منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وانك

قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، و . . . فاسمع مني
أعرض عليك أمورا تنظر فيها لملك تقبل منا بعضها ، فقال له قل ،
فقال . يابن أخي ان كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا ،
جمنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً ، وان كنت إنما تريد به شرفاً ،
سودناك علينا حتى لا نتقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك
علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رايًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ،
طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غاب
التابع على الرجل حتى يداوى منه ، فقال له الرسول : استمع مني فقال :
أفعل ، فقرأ عليه الآيات الأولى من سورة فصلت ، ولما وصل إلى قوله
تعالى (مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن
يكف ، ثم انتهى إلى السجدة منها فسجد ، وقال له أسمع يا أبا الوليد
ما سمعت ؟ فأنت وذاك . فرجع إلى قريش وهو ينتقض انتقاض
العصفور ، فقالت له قريش لقد ذهبنا من عندنا شيطا ورجعت فزعا
مرعوبا فما وراءك ؟ فقال : ورأيي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت
مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني
واجعلوها بي ، واخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله
ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه
بغيركم ، وان يظهر على العرب ، فملككم وعره عزكم وكنتم أسعد
الناس به ، فقالوا سحرك والله بلسانه ، قال هذا رأيي فيه ، فأصنعوا
مابدا لكم

(٢) ولما فشا الاسلام بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء اجتمع

عتبة وأبو جهل وأصحابهما ، وقال بعضهم لبعض : ابشروا إلى محمد فكموه حتى تندرُوا فيه ، فبهشوا إليه . إن أشرف قومك قد اجتمعوا اليكمموك فأتيتهم ، فجاء سرّيعا وهو يظن أن قد بدلتم فيما كلمهم فيه بداء أي نشأ لهم رأي ، وكان عليهم حرصا يحب رشدهم ويعز عليه عنّتهم ، فسكّموه بمثل ماكله به عتبة بن ربيعة ، فقال لهم في بعض كلامه : ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم . ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل عليّ كتابا ، وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لکم ، فان تقبلوا مني ما جئتمكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وأن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، قالوا : فان كنت غير قابل منا شيئا ، فسل ربك أن يسير عنا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا ، وليبسّط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فانه كان شيخا صدق ، فنسألهم عما تقول ، أحق هو أم باطل ، فان صدقوك وصنعت ما سألتك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول ، فقال لهم . ما بهذا بعثت اليكم ، فقالوا : فسل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، وسله فليجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فقال ما أنا بفاعل ، وما بهذا بعثت اليكم ، قالوا : فسله أن يسقط علينا كسفا كما زعمت فقال : ذلك الى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل ، قالوا : فقد أعذرنا اليك (ارتفع عنا اللوم) وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو

تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً ، فقال : سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ، وقام عنهم ، وقام معه ابن عمته عائكة وهو عبد الله بن أبي أمية المخزومي فقال له : عرض عليك قومك وعرضوا ، فلم تقبل ، ثم سألك لأنفسهم أمورا ليصرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل . . . فوالله لا أؤمن بك حتى تتخذ إلى السماء سائما ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيم الله ان لو فعلت ذلك ماظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف وانصرف النبي إلى بيته حزينا .

فقال أبو جهل : أن محمداً قد أبى الاماتون ، وانى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حملاً ، فإذا سجد فضخت به رأسه ، فأساموني عن ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا لا نسامك لشيء أبداً ، فامض لما تريد ، فلما أصبح أخذ حجراً كما وصف ، وجلس لرسول الله ينتظره ، وجلست قريش في أنديةها ، تنتظر ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد الرسول ، احتمل أبو جهل الحجر وأراد أن يلقى عليه ، فما هو إلا أن نكص على عقبيه منهزماً ، فقالوا له : مالك ؟ فقال عرض لى دونه فحل من الابل مارأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكنى .

وعند ذلك قال لهم النضر بن الحرث (الذى قتل صبها في العودة من بدر) : أنظروا في شأنكم والله لقد نزل بكم أمر عظيم ما أتيتم له بحيلة بعد ، وكان النضر من شياطين قريش ، وممن كانوا يؤذون رسول

الله وينصب له العداوة ، وكان إذا جلس رسول الله ﷺ ، فذكر فيه
بالله وحذر قومه ما أصاب من قبائهم ، خلفه فيه إذا قام ، ثم قال :
أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثنا منه ، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس
وغيرهم ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن مني ؟ فلما قال لهم ذلك بعثوه ،
وبعثوا معه عقبه بن أبي معيط (الذي قتل صبيرا في العودة من بدر)
إلى أحبار اليهود بالمدينة ، وقالوا لها : سلامه عن محمد ، فانهم أهل الكتاب
الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء ، فسألواهم فقالوا لها :
سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل
متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان
أمرهم ؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ،
ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فعادا فقالا : قد جئناكم بفصل
ما بينكم وبين محمد ، فجاءوا رسول الله ﷺ فسألوه عنها فقال : أخبركم بما
سألتم عنه غدا ولم يقل إن شاء الله ، فأبطأ عليه الوحي خمس عشرة ليلة
حتى أرجفه أهل مكة ، وحزن الرسول وشق عليه ما يتكلم به القوم ،
ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها أجوبة مسائلهم وأنزل الله عليه
فيما سأله قومه لانفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الارض وبعث من مضى
من آبائهم (ولو أن قرآنا سُيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو
كلم به الموتى بل لله الامر جميعا) أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت ،
وأنزل عليه شيئا من هذا في سورة الفرقان (وقالوا مال هذا الرسول
يأكل الطعام ...) وفي سورة الاسراء (وقالوا ان تؤمن لك حتى تفجر
لنا من الارض ينبوعا ...) فلما جاءهم الرسول بما عرفوا ، واجابهم عما سألوا

حال الحسد بينهم وبين اتباعه وتصديقه (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فكان إذا جهر رسول الله بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا . وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله بمكة عبد الله بن مسعود ، غدا على قریش في انديتها ضحى يوم من الأيام فسمى رافعا صوته وقرأ من سورة الرحمن ، فسألوا ماذا يقول ؟ فقيل لهم أنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يباغ ، ثم انصرف إلى الصحابة وقد اثروا في وجهه ، فقالوا له هذا الذي خشينا عليك ، قال ما كان أعداء الله اهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لا غادينهم بمثلها غدا ، قالوا لا ، حسبك ، قد اسمعتهم ما يكرهون

(٣) وخرج أبو سفيان وأبو جهل والخنس بن شريق ، ليلة ليستمعوا من رسول الله وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا ، فلورآكم بعض سفهائكم ، لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، وعاد كل منهم إلى مجلسه في الليلة الثانية ، ففعلوا مثل ما فعلوا ، ثم تلاقوا فقالوا مثل ما قالوا ، ولكنهم عادوا في الثالثة ثم تلاقوا فتعاهدوا على الا يعودوا .

فلما أصبح الخنس أتى أبا سفيان في بيته فقال له : أخبرني عن رأيك فيما سمعت ؟ فقال : والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ، قال الخنس وأنا

والذي حلفت به ، ثم خرج فدخل على أبي جهل بيته ، فقال يا ابا الحكم ،
ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف
الشرف : أطعموا فاطمنا ، وحملوا فحمانا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا
تجاذبنا (الجاذي - الجاثي) على الركب ، وكننا كفرسى رهان ، قالوا :
منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به
أبدا ، ولا نصدقه . - أي عنادا فقط ، خشية ان تذهب بنو عبد مناف
بالشرف كله - وهكذا كانوا يفعلون ، وكانوا يقولون (قلوبنا في اكنة
مما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب) وهذه
وأمثالها ، هي حججهم في كفرهم وعدم ادعائهم .

المرحلة الاخيرة

تعذيب الأصحاب واضطهادهم

ثم عدوا على أتباع رسول الله ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من
المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش
وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ،
فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصاب لهم
ويعصمه الله منهم

وكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جمح ، وكان صادق الاسلام ،
فكان أمية بن خلف الجمحي يخرج به إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على
ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ؛
ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات

والعزى ، فيقول وهو في ذلك البلاء : أَحَدٌ أَحَدٌ أَيْ اللَّهُ أَحَدٌ ،
حتى مر به أبو بكر وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبي بكر في
بني جمح ، فقال لأمية : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟
قال : فأنت الذي أفسدته فأنقذه ، قال : أفعل ، عندي غلام أسود ،
أجلد منه وأقوي على دينك أعطيكه به ، قال قد قبأت ، قال هو لك ،
وأخذ أبو بكر بلالا فأعتقه ، وأعتق معه على الاسلام ست رقاب
كان بلال سابعهم ، ومنهم عامر بن فهيرة

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه (وكانوا أهل
بيت اسلام) إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم
رسول الله فيقول : صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة ، فأما أمه فقتلوها
وهي تآبي إلا الاسلام ، وهي أول شهداء هذا الدين ، طعنها أبو جهل
بجربة في قبيلها فقتلها ، ومات ياسر في العذاب

وكان أبو جهل الذي يغري بهم في رجال من قريش ، إذا سمع
بالرجل قد أسلم له شرف ومنة ، أنبهه وخزاه ، وقال تركت دين
أبيك وهو خير منك ، لنسفن حملك ، ونفيلن (نقبحن) رأيك ،
ولنضعن شرفك ، وان كان تاجرا قال والله لنكسبن تجارتك ، ولنهلكن
مالك ، وان كان ضعيفا ضربه وأغري به

حدث ابن عباس قال والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه
ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذي نزل به ،
حتى يعطيهم ماسألوه من الفتنة ، وحتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك
فيقول نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهده

وكان من المذنبين أيضا خباب بن الارت الذي قال لرسول الله:
أدع لنا ، قال : أنكم لتعجلون ، لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يمشط
بأمشاط الحديد ، ويشق بالمنشار فلا يرد ذلك عن دينه ، والله ليتمن
هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف
إلا الله عزوجل ، والذنب على عزه

الهجرة الى الحبشة

ولما رأى رسول الله ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من
العافية ، لمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن
يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى الحبشة ، فإن فيها
ملك لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما
أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ،
وقرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الاسلام ، وذلك في رجب
سنة خمس من النبوة ، خرجوا سرا من مكة مشاة إلى البحر فاستأجروا
سفينة بنصف دينار ، وخرجت قريش في آثارهم فلم يدركوا
منهم أحدا

قيل كان أول من خرج من المسلمين من بني هاشم : جعفر بن
أبي طالب وامراته ، والأصح أن أول من هاجر عثمان بن عفان
وزوجه رقية بنت رسول الله ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة فرارا
بدينه من أبيه ، وزوجه سهلة بنت سهيل ، مراغمة لأبيها ، فارة عنه
بدينها ، وقد ولدت بالحبشة محمد بن أبي حذيفة ، وعمر بن سعيد بن العاص

وأخوه خالد وزوجتها ، وعبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله وامرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن مسعود وأخوه عتبة ، ومن بني جحش عثمان بن مظعون وأخوه قدامة وعبد الله وغيرهم ، كأبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، والمعروف أن الذين خرجوا أولاً كانوا أحد عشر نفرًا وعليهم عثمان بن مظعون أو ليس عليهم أمير ، ويحتمل أنهم أمروه باختيارهم لم يؤمره عليهم صلوات الله وسلامه ، وتتابع المسلمون حتى كان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبناءهم الذين خرجوا معهم صغاراً أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان عمار بن ياسر فيهم : ولما وصلوا إلى الحبشة أقاموا عند النجاشي آمنين وقالوا : جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله لا نؤذي ، ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فلما رأت قريش أن أصحاب الرسول قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً أو قراراً ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم رجلين من قريش جليدين إلى النجاشي ، فيردم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ، وعمرو بن العاص بن وائل ، واهدوا معهما هدايا إلى النجاشي أصححهم ، وإلى بطارقتهم ، وكان معهما في ذلك عمارة ابن الوليد بن المغيرة ، وله مع عمرو بن العاص ، في سفرهما إلى الحبشة حديث كان من جرأته أن عمراً مكر به ، وأفسد ما بينه وبين النجاشي حتى صنع بعمارة ما جعله يهيم على وجهه بين الوحوش في الجبال ، حتى مات في خلافة عمر .

ولما قدم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص الخبيثة ، قدما إلى النجاشي وبطارقته تلك الهدايا ، ثم قال له : أيها الملك أنه قد صوي إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعنا إليك فيهم أشرف قومهم من آباؤهم وأعمامهم وعشائرتهم : لتردهم عليهم : وهم أعلى بهم عينا (أبصر بهم) وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، فوافق البطارقة : ورغبوا إلى النجاشي أن يسامهم إليهما ، فغضب النجاشي وقال لا أفعل ، ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواى ، حتى أدعوهم ، فأسألمهم عما يقول هذان في أمرهم ، وأرسل إليهم ، فلما جاءهم رسوله ، تشاوروا فيما يقولون واتفقوا على أن يقولوا ما علموا ، وما أمرهم به النبي ، فلما جاءوا سألمهم ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في دينى ولا دين احد من هذه الملل ؟ فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فذكر ما كانوا عليه فى جاهليتهم حتى بعث الله رسوله فدعاهم إلى الله . وافراده بالعبادة ، وعدد عاينه امور الاسلام ، إلى أن قال : فصدقناه وآمنا به واتبعناه ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، فلما قهرونا وظامونا ، وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك ، فقال النجاشي . هل عندك شئ مما جاء به من عند الله ؟ فتلا عليه آيات من سورة كهيعص : فقال النجاشي « إن هذا الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسامهم اليكما » .

فاما تخربجا فكر عمرو في النكايه بهم ، وقال والله لا تينه غداً بما
أستأصل به خضراءهم ، وجاء النجاشي في الغد قتال له ، ان القوم يقولون
في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم . فقال جعفر . في حق
عيسى قولاً رضيه النجاشي ، وأخذ من الارض عوداً ، وقال ما دعا عيسى
ابن مريم مما قلت ، هذا العود ، ثم قال . اذهبوا فانتم آمنون بأرضي ، ثم
قال لبطارفته : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فخرجوا من عنده
مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به

فاما قدموا على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب الرسول
وردتهم النجاشي بما يكرهون ، كان عمر بن الخطاب قد أسلم في هذه
الفترة وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام من وراء ظهره ، أمتنع به أصحاب
الرسول وبحمزة حتى عازوا قريشاً أي غلبوهم .

اسلام عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة أيام

كان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند
الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا
معه ، وكان اسلامه بعد خروج المهاجرين إلى الحبشة ، وكان يقول إن
إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن امارته كانت رحمة ،
مع أنه كان من أقسى الناس على من آمن برسول الله ، فكانوا يلقون منه
أذى وبلاء وشدة ، ولما أسلم كان المسامون بضعة وأربعين رجلاً واحدى
عشرة امرأة ، وفيه أنزل الله في القرآن (بأيها النبي حسبك الله ومن
أتبعك من المؤمنين)

ويروي في حديث اسلامه أن أخته فاطمة ، وكانت عند سعيد بن

زيد بن عمر بن نفيل ، أسامت واسلم بعدها ، وكان يستغنى بإسلامه فرقا
من قومه ، وكان خباب بن الارت التميمي النسب ، الخزاعي الولاء ،
يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوم مات وشحبا سيفه يريد
رسول الله ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت
عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ، ومع الرسول عمه
حمزة ، وأبو بكر وعلي ، في رجال من المسلمين ممن كان أقام بمكة ولم يهاجر .
فلقيه نعيم بن عبد الله وكان يخفي إسلامه فقال له : إلى أين ؟ قال : أريد
محمدًا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها
وسب آلهتها فأقتله ، فقال له : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أتري بني
عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا ؟ أفلا ترجع إلى
أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال وأى أهل بيتي ؟ قال ختنك وابن عمك
سعيد ، وأختك فاطمة ، فقد والله لساما فعليك بهما . فرجع عمر إلى
أخته وختنه ، وعندهما خباب ومعه صحيفة فيها طه : يقرئها إياها ، فلما
سمعوا حس عمر ، تغيب خباب في ناحية . وأخذت فاطمة الصحيفة
فجعلتها تحت فخذها ، ودخل عمر فقال : ما هذه الهينة التي سمعت ؟
فانكرا ، قال بلى ، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه ، وبطش
بسعيد ، فقامت فاطمة لتكفه ، فضربها فشجها ، فقالا له قد أسامنا ،
فاصنع ما بدالك ؛ فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى
وقال لها . أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آفأ أنظر ما هذا
الذي جاء به محمد ، (وكان عمر كاتبًا) فقالت له : أنا نخشاك عليها ، قال .
لا تخافي ، وحلف بالذي يحلف به ليردنها إليها إذا قرأها ، فطمعت في

إسلامه ، وقالت له : إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر ،
فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة فقرأها فأدركته الخشية وقال ما
أحسن هذا الكلام وأكرمه ، وما ينبغي لمن قال هذا أن يعبد معه غيره ،
وعند ذلك ظهر خباب وقال : يا عمر والله إنى لارجو أن يكون الله قد
خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الإسلام
بأبي الحكيم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر ، فقال ذلني على
محمد حتى آتية فأسلم ، فدلته على رسول الله ، وكان في دار الأرقم بن
أبي الأرقم مختفياً بمن معه من المسلمين ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد
إلى الرسول وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته ، قام رجل
من الصحابة فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشحاً سيفه ، فرجع إلى
الرسول وهو فزع ، وقال : هذا عمر متوشحاً بالسيف ، فقال حمزة :
فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وأن كان يريد شراً قتلناه
بسيفه ، فقال رسول الله : ائذن له . فأذن له الرجل ، ونهض إليه الرسول
حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ بـجُجْزته أو بجمع رداءه ، ثم جبهه جبذة
شديدة وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى
ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر يا رسول الله جئتك لا ومن بالله وبرسوله
وبما جاء من عند الله ، فكبر الرسول تكبيرة عرف منها أهل البيت
من الأصحاب أن عمر قد أسلم ، فكبروا تكبيرة سمعت بطرق مكة ،
ولما علمت قريش قالوا : انتصف القوم منا ، وتفرق أصحاب الرسول
من مكانهم ، وقد عزوا في أنفسهم ، حين أسلم عمر ، مع إسلام حمزة ،
وعلموا أنها سيمنعان الرسول ، وينتصفون بهما من عدوهم

ولما أسلم عمر قال أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له جميل بن مَعْمَر،
فغدا عليه، فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسأمت وأتبعمت دين محمد؟
فلم يراجعه، وقام يجر رداءه حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى
صوته يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر
ابن الخطاب قد صبأ، فيقول عمر من خافه: كذب، ولكني قد أسأمت
وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

ويروى أنه قال: لما أسأمت تذكرت أي قريش أشد لرسول الله
عداوة حتى آتته فأخبره اني أسأمت؛ قال قلت أبو جهل؛ فأقبلت حين
أصبحت حتى ضربت عليه بابه، فخرج الي فقال: مرحبا وأهلا بابن
أختي، ما جاء بك؟ قال: قلت جئت لأخبرك اني آمنت بالله وبرسوله
محمد، وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك
الله وقبح ما جئت به.

ويروى أنه بعد أن أسلم قال يا رسول الله السنأ على الحق ان متنا وان
حمينا؟ قال بلى، والذي نفسي بيده أنكم على الحق ان متم وان حميتهم،
فقلت: فقيم الخفاء يا رسول الله، علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم
على الباطل؟ فقال يا عمر إنا قليل؛ قد رأيت ما لقينا، فقال والذي بعثك
بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر، الا جلست فيه بالايان، ثم
خرجت في صفتين انا في أحدها وهمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجد
فنظرت قريش الينا، فأصابتهم كآبة لم يصيبهم مثلها، فسماه رسول الله
يومئذ الفاروق. - هذا وحديث اسلام عمر جاء بروايات شتى

مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب

وهمت قريش بقتل رسول الله وأجمع ملؤها على ذلك، وبلغ أمرهم
أبا طالب فقال من قصيدة:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أغيب في التراب دفينا
ولما عامت قريش أنهم لا يقدرون على قتله، وأن أبا طالب لا
يسامه، وكانوا على بيعة بما هو حاصل من أن أصحاب الرسول الذين
هاجروا قد نزلوا بلدًا أصابوا بها أمنًا وقرارًا، وأن النجاشي قد منع من
جأ إليه منهم، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم، فكان هو وحمزة مع الرسول
وأصحابه، وأن الإسلام جعل يفسو في القبائل، اجتمعوا واتمروا أن
يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على ألا ينكحوا
بهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، ولا يكاموهم
ولا يجالسوهم ولا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا حتى يساموا رسول الله لقتل،
فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا، وعلقوا
الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم - وعند ذلك انجزت
بنو هاشم وبنو المطلب كلهم - مسامهم إيمانًا، وكافرهم حمية على عادة
الجاهلية - إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، فاجتمعوا إليه لم
يخرج من بني هاشم إلا أبو طالب، فظاهر قريشا، ولقد أنذرا أبو طالب
قريشا بسوء مغبة هذا الأمر في قصيدته التي جاء فيها

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنبا كذي ذنب
فلم يستمع له أحد - ومن جراء ذلك أقاموا في الشعب سنتين
أو ثلاثًا، حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلا سرا أو مستخفيا، حتى

وكان أوصلهم لبني هاشم ، هشام بن عمرو العامري وحكيم بن حزام ، حتى أنفق أبو طالب ماله ، وانفقت خديجة مالهما ، وصاروا الى حد الضر والفاقة ، وكانوا يأكلون الخبث وورق الشجر ، وكانوا لا يحجون الا من موسم الى موسم ، وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم ، أمر رسول الله فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرأ أو اغتيالاً ، فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش النبي ، وأمر النبي أن يأتي بعض فراشهم فينام عليه .

كل هذا ورسول الله يدعو قومه سرأً وجهرأً بالليل والنهار ، مباديا بأمر الله ، لا يتقى فيه أحداً من الناس ، فجعلت قريش (حينما رأت أن الله منعه منها . وقام عمه وقومه دونه ، فخالوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به) يهمزونه ويستهنئون به ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل بما أحدثوا ، وكان منهم أبو لهب وأمرأته أم جميل حمالة الحطب ، والعاص بن وائل السهمي ، وأبو جهل بن هشام ، والنضر بن الحرث وعبدالله بن الزبيري ، والوليد بن المغيرة الذي قال : أنزل الوحي على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود بن عمير سيد ثقيف ، فنحن عظيمي القريتين ؟ وقد اعترض بعضهم رسول الله وهو يطوف بالكعبة فعرضوا عليه ما يعبدون ، ويعبدون ما يعبد ، فنزلت فيهم سورة الكافرين .

حديث الغرائيق إجمالاً

الغرائيق في الاصل طير الماء ، واحدها غرنوق وغرنيق ، زعموا

أن أصنامهم تقربهم من الله وأشفع لهم ؛ فشببها بالطير التي ترتفع في السماء .

بلغ مهاجرة الحبشة إسلام أهل مكة ؛ فاقبلوا حتى دنوا منها ؛ فعموا أن الخبر بأسلامهم مكذوب ؛ فلم يدخل أحد منهم مكة إلا بجوار أو مستخفياً ؛ وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلاً — وسببه ما بلغهم أن رسول الله قرأ سورة النجم حتى وصل إلى قوله : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، فزعموا أنه أضاف بعد ذلك (إنها الغرائيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى) فطار ذلك بمكة ؛ وسر المشركون . وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير ؛ فسجد رسول الله في آخرها وسجد معه المشركون والمسلمون ، فن هنا أتصل بالمهاجرين في الحبشة أن قريشاً أسلموا — وهو حديث خرافة لا أصل له ؛ لأن رواته زعموا أن الشيطان ألقى ذلك في روع رسول الله وهو يتلو الآيات الكريمة ؛ وهو طعن سريح على عصمة الرسول في التبليغ عن الله . قال ابن اسحاق : هي من وضع الزنادقة وقال القاضي عياض : إن هذا الخبر لم يخرج به أهل الصحة ؛ ولا رواه ثقة بسند متصل سليم مع ضعف نقلته واضطراب رواياته ؛ وانقطاع أسانيد . وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ؛ المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

والثابت أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون ، سجدوا لبلاغة القرآن ولم يرد ذكر للغرائيق .

هذا ولو صح مقاله نقلة قصة الغرائيق ، لارتفعت الثقة بالوحي ، وانتقض الاعتماد عليه ، وكان الكلام في الناسخ كالكلام في المنسوخ ،

يجوز أن يلقى فيه الشيطان ما يشاء ، ولأنهم أعظم ركن للشرائع الإلهية وهو العصمة ، ولو وقع أن رسول الله ذكر آلهتهم بخير لارتد كثير ممن أسلم ، لأنهم إذا سمعوه مع قرب عهدهم بالاسلام ، أعتقدوا أن في الاصنام النفع فمالوا إليها ، ولم ينقل ذلك . ويقال أن شيطاننا من شياطينهم ارتصد النبي في سكتة من السكتات ونطق بهذه الكلمات محاكياً للنبي في نغمه ، بحيث سمع منهم من دنا إليه فظنهما من قول النبي وأشاعها . ولكن ابن كان النبي ؟ وابن كان الوحي ؟ على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرائق العلى لم يرد في نظمهم ولا في نثرهم ، ولا كان جارياً على لسانهم ، ولا شيء من معاني الغرائق يلائم الآلهة والاصنام ، حتى يطابق عليها في فصيح القول الذي يعرض على ملوك البلاغة وامراء الكلام - واعلم أن الامنية في قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذاتنى » أن تكون له أمنية من قومه وهي أن يتبعوه ، ويخصوا أهواءهم . فيلقى الشيطان العثرات في سبيلها بالوسوسة في صدور الناس ، حتى يثوروا في وجهه ويعاجزوه ويجادلوه ، ولكن الله غالب على أمره ، يبعث نور الحق فيمحق ما لقاها الشيطان من ظلمات الباطل . ويهب الساطان لآياته فيحكمها ، ويثبت دعائمها ، وينشئ من ضعف أنصارها قوة . وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان هي السفلى . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الاض ، وفي هذا كفاية

عود - وكان أبو بكر الصديق قد أودى كثيراً ، فاستأذن النبي في الهجرة فأذن له ، ونخرج حتى بعد عن مكة يوماً ويومين ، فلقه سيد القارة ابن الدُّغْنَةَ (والقارة من بني الهون بن خزيمه بن مدركة . كانوا احنفاء

بني زهرة) فقال له أين تريد يا أبا بكر؟ فقال له أبو بكر أخرجني قومي
وآذوني وضيقوا علي ، فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي ، فقال
ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، انك تكسب المعدوم
وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على فوائب الحق ،
فانا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع فكف القوم عنه ، غير
أنه كان يصلي في مسجده علنا؛ فمشى رجال قريش الى ابن الدغنة وقالوا
له : نخشى على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ، فره أن يدخل
بيته فليصنع فيه ماشاء ، فلما جاء أبا بكر ذكر له ذلك فقال له : أوأرد
عليك جوارك وارضى بجوار الله؟ قال فاردد علي جوارى ، قال : قد
رددته عليك ، فأعلم ان الدغنة قريشاً وقال شأنكم بصاحبكم ، هذا وانتم
تري أن ابن الدغنة قد وصف الصديق بما وصفت به خديجة رسول
الله ﷺ وهو يدل على عظيم فضله وكمال صفاته .

حديث نقض الصحيفة

قام في نقض تلك الصحيفة نفر من قريش ؛ ولم يبل فيها أحد
أحسن من بلاء هشام بن عمرو العامري طمر لؤي (كان أخا نضلة بن
هاشم بن عبد مناف لأمه ؛ فكان لبني هاشم وأصلا) ؛ وكان ذا شرف
في قومه ؛ يأتي بالبعير ليلا قد أوقره طعاما ؛ حتى إذا أقبل به فم الشعب
خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ؛ فيدخل الشعب عليهم .
ثم يأتي به قد أوقره براً فيفعل به مثل ذلك .

مشى هشام (أو هاشم) إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي
- وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أقدر رضيت أن تأكل

الطعام ، وتلبس الثياب ؛ وتنكح النساء ؛ وأخوالك حيث قد علمت ؛ لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؛ ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؛ أما انى اسلاف بالله ان لو كانوا اخوال ابى جهل الحكيم بن هشام ؛ ثم دعوته الى مثل مادعاك اليه منهم ، ما أجابك اليه ابدأ — : قال ويحك يا هشام : فاذا أصنع ؛ إنما أنا رجل واحد ؛ والله لو كان معى آخر ؛ لقمتم فى نقضها حتى انقضها ؛ قال : قد وجدت رجلا ؛ قال من هو ؟ قال : انا ؛ قال له زهير : ابغنا ثالثاً ؛ فذهب الى المطعم بن عدى فأخبره فأنضم اليها ؛ وقال له ابغنا رابعاً ؛ فذهب الى ابى البختري بن هشام ، فقال له نحواً مما قال لمطعم ؛ فقال ابغنا خامساً ، فذهب الى زمعة بن الاسود فأخبره فقال له : وهل على الامر الذى تدعونى إليه من احد ؛ قال نعم ؛ وسمى له القوم ؛ فاتعدوا خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة ، وهناك أجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ؛ وقال زهير : انا ابدؤكم فأكون اول من يتكلم ، فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم ؛ وغدا زهير عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعاً ثم اقبل على الناس . وقال لا اقعده حتى تشق هذه الصحيفة القاطعه الظالمة ، قال أبو جهل . كذبت ؛ والله لا تشق ، فقال زمعة ، انت والله اكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت ، وقال ابو البختري ، صدق زمعة ؛ لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به ؛ فقال للمطعم : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ونبرأ الى الله منها ، ومما كتب فيها : فقال هشام نحواً من ذلك ، فلما رأى أبو جهل من إجماعهم قال . هذا امر قضى بليل ، تشوّر فيه بغير هذا المكان .

وكان أبو طالب إذ ذاك فى ناحية المسجد . فقام المطعم الى

الصحيفة ليشقها فوجد الارضنة قد أكلتها الا باسمك اللهم ، وبهذا يمكن
الجمع بين الرواية الماضية ، وبين هذه الرواية : قال رسول الله لابي طالب :
يا عم ، إن الله قد ساطط الارضنة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً
هو لله الا أثبتته فيها ، ونفقت منها الظلم والقطيعة والبهتان ، فقال : أربك
أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، فخرج إلى قريش فقال : إن ابن أخي أخبرني
بكذا وكذا ، فهل صحيفتكم ، فإن كانت كما قال ابن أخي ، علمتم أنكم ظالمون
لنا قاطعون لأرحامنا ، وإن كان كاذباً علمنا أنكم على حق وأنا على باطل ،
فقال القوم : رضينا فتمعقوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال - فزادهم
ذلك شراً ، فمهد ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا
ولما مزقت الصحيفة بطل ما فيها بالضرورة ، وخرج بنوها ثم من
الشعب وبنو المطاب ، وأسلم في ذلك اليوم بشر كثير ، وقويت نفس
أبي طالب واشتد صوته ، وقالوا لهم قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم
والقطيعة ، فنكسوا رؤوسهم ، وقالوا : انما تأتوننا بالسحر والبهتان ،
وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من البعثة ، قبل الهجرة
بثلاث سنين .

قريش تحول بين الناس وبين رسول الله

ولما لم يفاعخوا في المقاطعة التي استحدثوها ، أرادوا أن يحولوا بين
قصاد مكة وبين الرسول ، فاتفق أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة ،
فمضى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً ،
سيداً مطاعاً في دوس ، فحذروه رسول الله وقالوا له في حديثهم : إنما قوله
كالسحر ، يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ،

وبين الرجل وبين زوجته ، وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل
علينا . فسمع منهم ، ولكنه ذهب إلى رسول الله فوجده قائما يصلي عند
الكعبة فسمع منه ، ثم قال في نفسه إني لرجل شاعر ، ما يخفى
على الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ،
فان كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته . فلما انصرف
الرسول إلى بيته تبعه وأخبره بما قال القوم ، فعرض عليه رسول الله
الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم ، وقال يا رسول الله ، إني امرؤ مطاع في
قومي . وراجع اليهم ، وداعيتهم إلى الاسلام ، فلما رجع دعاهم فتابطئوا ،
فعاد إلى رسول الله فشكاه لهم فيه فقال الرسول : اللهم اهد دوسا إلى
الاسلام ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم ، فلم يزل يدعو حتى هاجر
رسول الله إلى المدينة ، فقدم عليه بمن أسلم من قومه بخيبر ، فأسلم
لهم مع المسلمين ، ثم أقام بالمدينة حتى قبض رسول الله وارتدت العرب ،
فسار مع المسلمين إلى اليمامة وقتل شهيداً ، وجرح ابنه عمرو جراحة
شديدة

وخرج أعشى قيس إلى رسول الله يريد الاسلام ومعه قصيدته
التي يقول في أولها

ألم تغتمض عينك ليلة أرمدنا وبنت كما باتت السليم مسهداً
ويقول فيها يخاطب ناقته :
وآليت لا آوى لها من كلاله ولا من حفي حتى تلافى حمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراحى وتلقى من فواضله ندى
فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش

فَسأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَقْصِدِهِ ، فَقَالَ يَا أَبَا بَصِيرٍ : إِنَّهُ يَحْرِمُ الزَّانَا ، فَقَالَ
مَالِي فِيهِ مِنْ أَرْبٍ ، قَالَ فَانْهَ يَحْرِمُ الْخَمْرَ ، فَقَالَ أَمَا هَذِهِ فَوَاللَّهِ إِنْ فِي النَّفْسِ
مِنْهَا الْعَلَلَاتُ ، وَلَكِنِّي مَنصَرَفٌ فَأَتْرُوِي مِنْهَا عَلَى هَذَا ، ثُمَّ آتَيْهِ فَأَسْلِمَ ،
فَانصَرَفَ فَمَاتَ فِي عَامِهِ ، وَكَانَ الَّذِي لَقِيَ الْإِعْشَى عَامرَ بْنِ الطَّفِيلِ . وَيَقُولُ
بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : إِنْ صَحَّ حَدِيثُ الْإِعْشَى وَمَا ذَكَرْهُ فِي الْخَمْرِ ، فَلَمْ يَكْ هَذَا
بِمَكَّةَ وَإِنَّمَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ ، لِأَنَّ الْخَمْرَ إِنَّمَا حُرِّمَتْ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ بَدْرٍ وَأَحَدٍ ،
غَيْرَ أَنَّ هَذَا يَصْطَحُحُ أَنْ يَنْقُضَ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حَرَّمَ الْخَمْرَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَمَا
حَرَّمَهَا أَشْرَافَ قَوْمِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ أَصْحَابُهُ ، فَكَانَ تَحْرِيمُهَا
فِيمَا يَبْنِيهِمْ كَالدِّينِ الْمَتَّبَعِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ عَشْرُونَ رَجُلًا مِنْ نِصَارِي الْخَبَشَةِ حِينَ بَلَغَهُمْ
خَبْرُهُ ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وَكَلَمُوهُ وَسَأَلُوهُ ، وَرَجَالَ مِنْ
قُرَيْشٍ فِي أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا دَعَاءَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَلَا
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا سَمِعُوهُ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ
وَآمَنُوا بِهِ ، وَقَامُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، فَانصَرَفُوا ، فَاعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلٍ فِي
نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُمْ : خَيْبِكُمْ اللَّهُ مِنْ رَكْبٍ ، بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ
مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ لَهُمْ لَتَأْتُوا بِخَبَرِ الرَّجُلِ ، فَلَمْ تَطْمَئِنِّ مَجَالِسُكُمْ
عِنْدَهُ حَتَّى تَفَارِقُوا دِينَكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِمَا قَالَ ؛ فَقَالُوا لَهُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِأَنْجَاهِكُمْ ،
لِنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ وَلَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، لَمْ نَأَلْ أَنْفُسَنَا خَيْرًا .

وَالغَرَضُ مِنْ سَرْدِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ أَنَّ نَبِيَّ أَنْ قُرَيْشًا لَمْ يَكْفِهَا
إِيذَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَمَقَاتَعَتِهَا قَوْمَهُ عَامَةً مِنْ أَجْلِهِ ، فَأَخَذُوا يَعْمالُونَ
الْحِيلَةَ لِلْحَيْلِوَلَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ مَنْ يَنْفِدُ عَلَى مَكَّةَ ، حَتَّى لَا يَكُونَ

بعض الوافدين عرضة الى هداية الله فيسلم ، ويعود الى قومه فينشر دين الله .

وفي هذه الايام كان الاسراء والمعراج . وحديثها طويل وبخاصة في أن ذلك كان يقظة أو مناما ، وإن كان الوحي من الله يأتي الانبياء أيقاظاً ونياما ، وإذا كانت المسألة هي النبوة ، والأمر أمر من يقول للشيء كن فيكون ، فلا فرق بين أن يكون الاسراء بجسده أو بروحه فكلمتا الحالتين في حيز القدرة الآلهية .

وفاة خديجة وأبي طالب

وقبل الهجرة بثلاث ماتت خديجة ، وكانت للرسول وزير صدق ، وبعدها بثلاثة أيام مات أبو طالب ، فروى أن الرسول قال : اجتمعت على هذه الأمة في هذه الايام مصيبتان لا أدري أنا بأيهما أشد جزعا : يعنى موت خديجة وأبي طالب ، وكان يقول بعد ذلك : ما نالت قريش مني شيئا أكرهه ، حتى مات أبو طالب - وذلك أن النفر الذين كانوا يؤذون رسول الله كانوا جيرانه ، ولم يسلم منهم إلا الحكم بن أبي العاص وكان أحدهم ، أما الباقون فكانوا يطرحون عليه الاقدار وهو يصلي ، ويحدثون غير هذا مما كانوا لا يطعمون به في حياة أبي طالب ، ولقد كان يعترضه السفيه منهم فينثر التراب على رأسه .

خروجه الى الطائف - ولما مات أبو طالب ونالت قريش من رسول الله ما لم تكن تنال منه في حياة عمه ، خرج إلى الطائف ، بعد موت خديجة بثلاثة أشهر - وكان معه زيد بن حارثة - يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله

عز وجل ، فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف هم يومئذ
سادة قومهم واشرافهم وهم عبد ياليل (كهابيل) ومسعود وحبيب
أبناء عمرو بن عمير ، فجلس إليهم الرسول فدعاهم إلى الله ، وكلهم بما
جاءهم به من نصرته ، والقيام معه على من خلفه من قومه ، فقال
أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الثاني :
أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ، وقال الآخر والله لا أكلمك أبداً ،
لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنك أنت أعظم خطراً من أن
أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن
أكلمك - فقام رسول الله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ،
ثم قال لهم : أكنتموا عني ، (كره أن يباغ قومه عنه ذلك فزيدهم عليه)
فلم يفعلوا ، واغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونونه ويصيحون به ، حتى
اجتمع عليه الناس واجتأهوا إلى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه ،
فعمد إلى ظل كرمة فجلس فيه ، وهما يريان مالتى من سفهاء أهل الطائف
وهو يقول : اللهم أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حياتي وهو انى
على الناس ، فتحررت له رحمتها ، فدعوا غلاما نصرانيا كان لهما وقالاه :
خذ قطفنا من العنب ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ،
فلما وضع رسول الله يده فيه ليأكل قال . باسم الله ، فقال الغلام : إن
هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فسأله الرسول عن بلده ودينه
فقال : نصراني من أهل نينوى ، فقال النبي : من قرية الرجل الصالح
يونس بن متى ؟ فقال الغلام : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال : ذلك
أخى كان نبيا وأنا نبي : فأكب الغلام على الرسول يقبل رأسه ويديه

وقدميه وآمن به - ثم عاد رسول الله إلى مكة في جوار المطعم بن عدي
بعد أن عرض الجوار على غيره من رؤساء قريش فاعتذروا بما قبله منهم
بعرض رسول الله نفسه على القبائل

ولما قدم الرسول مكة شرع يعرض نفسه على القبائل في المواسم ،
يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه
حتى يبين عن الله ما بعثه به ، وكان يقف على منازل القبائل من العرب
فيقول : يا بني فلان إني رسول الله إليكم ، فكان عمه أبو لهب عبد العزي
ابن عبد المطاب يلازمه ويقول من خلفه : يا بني فلان إن هذا إنما
يدعوكم إلى أن تساخوا اللات والعزي من أعناقكم ، إلى ما جاء به من
البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه

وأتى رسول الله كندة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم
نفسه فأبوا عليه . وكذلك بنو كلب وبنو حنيفة الذين ردوا عليه ردا
لم يك أحد من العرب أقبح منهم فيه

وأتى بني عامر بن صعصعة ، فقال له رجل منهم وهو بيجرة بن
فراس : أ رأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من
خالفك ، أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال الأمر إلى الله يضعه حيث
يشاء ، فقال : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله ، كان
الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه ، ولما صدروا رجعوا إلى
شيخ لهم فذكروا له حديث الموسم ، وما كان من رسول الله في دعوته
وما كان منهم في إباتهم ، فقال : يا بني عامر هل لها من تلاف ، هل
لذئابها من مطلب ؟ والذي نفسي بيده ما تقوّلها اسماعيلي قط ، وأنها

لحق ، فإين رأيكم كان عنكم؟

ثابر رسول الله على عرض نفسه على القبائل في المواسم ، وكان مع هذا يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنحة وذى الحجاز ، يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، فلا يجد من ينصره ، بل كانوا يقولون قومك أعلم بك . ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله ، وكان من هؤلاء سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف ، قدم حاجاً ومعتماً ، وكان قومه يسمونه الكامل ، جلده وشرفه ونسبه ، فتصدى له رسول الله حين سمع به ، فدعاه الى الله والى الاسلام فقال سويد : فاعل الذى معك مثل الذى معى ، قال الرسول ومامعك؟ قال : مجلة لقمان يعنى حكيمته ، فقال له النبي : اعرضها ، فعرضها عليه ، فقال الرسول إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله على هو هدى ونور ، وتلا عليه القرآن ، ودعاه الى الاسلام ، فلم يبعد منه ، ثم انصرف إلى المدينة فقتل يوم بُعث .

بدء اسلام الانصار

الانصار جمع ناصر أو نصير ، وتسميتهم بالانصار حينئذ باعتبار المآل ، إذ لم يك (الانصار) اسما لهم في الجاهلية ، حتى سماهم الله به في الاسلام وحدهم ، لأنهم الذين نصرُوا النبي وآووه ومن معه ، وواسوهم بأموالهم وانفسهم . وهم بنو الأوس والخزرج سكان المدينة ، وكانت بينهم حروب على الملك ، فلما أراد الله إظهار دينه واعزاز نبيه ، وإنجاز مواعده له ، خرج في الموسم فعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع . فبينما هو عند العقبة الاولى ، عقبه الجرة ، لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم

خيرا ، فقال لهم من أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الخزرج ، قال : أمن موالي
يهود ؟ أى من حلفائهم ، قالوا : نعم ، قال أفلا تجلسون أكلهم ؟ قالوا .
بلى ، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم
القرآن ، وكان اليهود يقولون لهم إذا كان بينهم شىء من خصومة
أو حرب ، إن نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه ، تتبعه فنقتلكم معه قتل
عاد وارم ، فاما كلهم رسول الله أولئك النفر ، عرفوا النعت ، فقال بعضهم
لبعض : يا قوم تعاموا والله انه للنبي الذى توعدكم به يهود ، فلا تسبنتنكم
اليه ، فأجابوه وصدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا
له : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ،
وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض
عليهم الذى أجبتناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه ، فلا رجل
أعز منك ، وموعدك الموسم العام المقبل . ثم رجعوا إلى قومهم وكانوا
سنة نفر كلهم من الخزرج منهم أبو امامة سعد بن زرارة ، وعوف بن
الحارث ، وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان ، فاما قدموا على
قومهم دعوهم إلى الاسلام فأجابوا ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار
إلا وفيها ذكر من رسول الله ، حتى اذا كان العام القابل وانى الموسم
اثنا عشر رجلا خمسة من الستة الاولى وسبعة جدد ، منهم معاذ بن
عفراء أخو عوف ، وعبادة بن الصامت ، فلقوا رسول الله بالعقبة وهى
العقبة الثانية ، فاسلموا وبايعوا على بيعة النساء ، إذ لم يك قد افترض
الحرب ،

حدث عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله ليلة العقبة : على

الآن شرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي
ببنتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فقال صلى الله عليه وسلم ،
فان وفيتم فلحكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً ، فأمركم إلى الله عز وجل ،
إن شاء غفر وإن شاء عذب - فلما انصرفوا أرسل إليهم مصعب بن عمير
ابن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ،
ويفقههم في الدين ، ويجمعهم بهم ، فكان يسمى بالمدينة المقرئ . وبعد
ذلك أسلم أشرافهم ومنهم سعد بن معاذ الأوسى ، وأسيد بن حضير
الأوسى ، وأسلم بإسلامهما جميع بنى الأشهل في يوم واحد ، الرجال
والنساء ، ولم يكن فيهم منافق ولا منافقة ، ثم فشا الإسلام حتى لم تبق
دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون

ثم إن مصعب بن عمير عاد إلى مكة ، وخرج ثلاثة وسبعون رجلاً
وامراتان من الانصار المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل
الشرك حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله العقبه من أوسط أيام
التشريق وهي العقبه الثالثة ، وكان معهم البراء بن معرور ، فكان يصلي
إلى الكعبة فلم يتبعه المسلمون ، وقالوا : والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا
إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه ، فظلوا على حالهم ، وظل على حاله ، حتى
قدموا مكة ، فسأل البراء رسول الله ، فقال له : قد كنت على قبلة لو صبرت
عليها ، فرجع إلى قبلة الرسول ، وصلى إلى الشام ، ولم يأمره بإعادة
ما قد صلى لأنه كان متأولاً

ولما فرغوا من الحج وكانت الليلة التي واعدوا رسول الله لها ، خرجوا
ومعهم أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام ، وكانوا يكتُمون أمرهم من

معهم من المشركين ، وبعد أن مضى ثلث الليل تسللوا تسلل القطا
مستخفين ، حتى وصلوا إلى الشعب من العتبة ، وكانوا اثلاثة وسبعين رجلا
ومعهم امرأتان ، نسبية بنت كعب وأسماء بنت عمرو ، فطاع عليهم رسول
الله ومعهم العباس بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب
ان يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له — فكان العباس أول من تكلم قال :
يا معشر الخزرج (على التغايب) أن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه
من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة
في بلده ، وأنه قد أبقى إلا الانحياز اليكم واللاحق بكم . فان كنتم ترون
أنكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نعوه ممن خالفه . فأنتم وما تحماتم من
ذلك ، وأن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فن
الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعه في قومه وبلده ، فقالوا : سمعنا ما قلت
ثم قالوا تكلم يا رسول الله نخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم الرسول
فتلا القرآن ودعا الى الله ورجب في الاسلام ، ثم قال : أبايكم على أن
تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فأخذ البراء بن معرور بيده
وقال : نعم ، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرنا ، فبايعنا
يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ، ورثناها كبرا عن كبر ،
فاعترض أبو الهيثم بن التيهان وقال : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال
حبالا ، وأنا قاطعوها ، يعني اليهود ، فهل عسيبت ان فعلنا ذلك ثم أظهرك
الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم رسول الله ثم قال : بل الدم الدم
والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسلم من سالمتم .
أخرجوا الى منكم اثني عشر تقيبا ، ليكونوا على قومهم ، فانتخبوا

تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الاوس ، منهم أسعد بن زرارة وهو أبو أمامة ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك ، والبراء بن معرور ، وعبادة بن الصامت ، وسعد بن عبادة - من الخزرج وأسيد بن حضير ، وآخران من الاوس ، فقال لهم رسول الله : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الجواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، يعنى المسلمين ، قالوا نعم ، وهذه هي بيعة العقبة الثالثة ، وكانت على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وعلى النصره اذا قدم عليهم ، وعلى حرب الأحمر والأسود ، يعنى العرب والعجم ، ثم قال لهم رسول الله : أرفضوا الى رحالكم ، فقال له العباس بن عبادة بن نضلة الخزرجي والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيا فناء ، فقال : لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعوا وناموا
أمر قريش بعد العقبة الآخرة

ولما أصبحوا غدت عليهم جلة قريش فقالوا : يامعشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخر جونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فصمت المسلمون وانبعث المشركون يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه (وقد صدقوا اذ لم يعلموه) فقام القوم ، ويقال أنهم اتوا عبد الله بن أبي ابن سلول فقالوا له مثل ذلك فقال : ان هذا الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفوتوا على بمثل هذا ، وما علمته كان ، فانصرفوا عنه
وتنطس القوم الخبر (أى أكثروا البحث عنه) فوجدوه صحيحاً .

فخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادَةَ بأذخر ، فأخذوه
فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رَحْلِهِ ، وأقبلوا به يضربونه ويأخذون
بِحِمَّتِهِ ، وكان ذا شعر كثير ، ويجرونه فلم يخلصه منهم إلا أبو البختري
ابن هشام ، إذ أوى إليه وقال ويحك ! أما كان بينك وبين أحد من
قريش جوار ولا عهد ؟ قال بلى والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم
ابن عدي ، ولأحمرث بن حرب بن أمية تجارتهما ، قال : ويحك ! فاهتف
باسم الرجائي ففعل ، وجاءها من قال لهما : إن رجلا من الخزرج ليغرب
بالأبطح ، وأنه ليهتف بكما ، قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادَةَ ،
قالا : صدق ، فذهبا فخلصاه .

ولما وصل الانصار المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا
من شيوخ لا يزالون على دينهم من الشرك ، ومنهم عمرو بن الجموح وكان
سيداً من سادات بني سامة وأشرافهم ، وقد أسلم ابنه معاذ وشهد العقبة
وباع الرسول ، فأسلم .

هذا - والملاحظ في بيعة العقبة الآخرة أنها كانت على حرب
الاحمر والاسود ، أما ما عداها فكانت بعد الاسلام ، على السمع والطاعة
في العسر واليسر ، إذ كان رسول الله لم يؤذن له في الحرب ، ولم تحال
له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء الى الله ، والصبر على الأذى ، والصفح عن
الجاهل .

وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم
عن دينهم ، وفتنواهم من بلادهم ، فهم بين مفتون في دينه ، وبين معذب
في أيديهم ، وبين هارب في البلاد فراراً منهم - فلما عنت قريش على

الله ، وردوا عليه ما أَرَادَهُ بِهِمْ مِنَ الْكِرَامَةِ ، وَكَذَبُوا نَبِيَهُ ، وَعَذَبُوا
مِنْ عِبْدِهِ وَوَحْدَهُ وَصَدَقَ نَبِيَهُ وَاعْتَصَمَ بِدِينِهِ ، أَدْنَى اللَّهِ لِرَسُولِهِ فِي الْقِتَالِ
وَالْإِمْتِنَاعِ وَالْإِنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَبَغَى عَلَيْهِمْ .

فَلَمَّا أَدْنَى لَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ ، وَبَايَعَهُ هَذَا الْحَى مِنَ الْإِنصَارِ عَلَى
الْإِسْلَامِ وَالنَّصْرَةِ لَهُ وَلِمَنْ أَتْبَعَهُ وَأَوَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَسَالِمِينَ ، أَمَرَ رَسُولُ
اللَّهِ أَصْحَابَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَالْهَجْرَةَ إِلَيْهَا ، وَاللَّحُوقَ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ
الْإِنصَارِ ، وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ
بِهَا » فَخَرَجُوا أَرْسَالًا ، وَأَقَامَ الرَّسُولُ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذُنَ لَهُ رَبُّهُ فِي
الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ وَالْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَبُو سَامَةَ الْخَزُومِيُّ أَخُو الْمُصْطَفَى
مِنَ الرِّضَاعِ وَابْنُ عَمَّتِهِ بَرَّةَ ، قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ لِمَكَّةَ فَأَذَاهُ أَهْلُهَا ، وَبَلَغَهُ إِسْلَامُ
مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْإِنصَارِ الْإِثْنَى عَشَرَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ . ثُمَّ عَامَرَ بَنُ رُبَيْعَةَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ جَحْشٍ ، وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ وَبَقِيَّةَ أَهْلِهِ ، حَتَّى غَلَقَتْ دَارَ بَنِي جَحْشٍ ،
وَمَرَّ بِهَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ : هَذَا عَمَلُ ابْنِ أَخِي هَذَا ، فَرَقَّ جَمَاعَتُنَا ، وَشَتَّتْ
أَمْرُنَا وَقَطَعَ بَيْنَنَا ، ثُمَّ تَابَعَ الْمَسَالِمُونَ الْهَاجِرَةَ ، فَهَاجَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ،
وَأَخُوهُ زَيْدٌ ، وَطَالِحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، وَصَهْبِيُّ وَحَمْزَةُ ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَعُمَانُ
ابْنَ عَفَّانَ ، وَغَيْرُهُمْ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنَ الْمَسَالِمِينَ إِلَّا مِنْ حَبِسٍ أَوْ فِتْنٍ ،
إِلَّا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرَ الصِّدِّيقَ .